

البداية والنهاية

إمام عالم بارع لم يكن في عصره بل ولا قبل دهره بمدة أفاقه منه ولد بجماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسائة وقدم مع أهله إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين وقرأ القرآن وسمع الحديث الكثير ورحل مرتين إلى العراق إحداهما في سنة إحدى وستين مع ابن عمه الحافظ عبدالغني والأخرى سنة سبع وستين وحج في سنة ثلاث وسبعين وتفقه ببغداد على مذهب الامام أحمد وبرع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة مع زهد وعبادة وورع وتواضع وحسن أخلاق وجود وحياء وحسن سمت ونور وبهاء وكثرة تلاوة وصلاة وصيام وقيام وطريقة حسنة واتباع للسلف الصالح وكانت له أحوال ومكاشفات وقد قال الشافعي C تعالى إن لم تكن العلماء العاقلون أولياء ا فلا أعلم ا وليا وكان يؤم الناس للصلاة في محراب الحنابلة هو والشيخ العماد فلما توفي العماد استقل هو بالوظيفة فإن غاب صلى عنه أبو سليمان ابن الحافظ عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني وكان يتنفل بين العشاءين بالقرب من محرابه فإذا صلى العشاء انصرف إلى منزله بدرج الدولعي بالرصيف وأخذ معه من الفقراء من تيسر يأكلون معه من طعامه وكان منزله الأصلي بقاسيون فينصرف بعض الليالي بعدا لعشاء إلى الجبل فاتفق في بعض الليالي أن خطف رجل عمامته وكان فيها كاغد فيه رمل فقال له الشيخ خذ الكاغد والى العمامة فطن الرجل أن ذلك نفقة فأخذه وألقى العمامة وهذا يدل على ذكاء مفرط واستخصار حسن في الساعة الراهنة حتى خلع عمامته من يده بتلطف وله مصنفات عديدة مشهورة منها المغني في شرح مختصر الخرق في عشرة مجلدات والشافعي في مجلدين والمقنع للحفظ والروضة في اصول الفقه وغير ذلك من التصانيف المفيدة وكانت وفاته في يوم عيد الفطر في هذه السنة وقد بلغ الثمانين وكان يوم سبت وحضر جنازته خلق كثير ودفن بتربته المشهورة ورؤيت له منامات سالحة C تعالى وكان له أولاد ذكور وإناث فلما كان حيا ماتوا في حياته ولم يعقب منهم سوى ابنه عيسى ولدين ثم ماتا وانقطع نسله قال أبو المطرف سبط ابن الجوزي نقلت من خط الشيخ موفق C تعالى ... لا تجلس بباب من ... يا بني عليك وصول داره ... وتقول حاجاتي إلي ... ه يعوقها إن لم أداره ... واتركه واقصد ربها ... تقضى ورب الدار كاره ومما انشده الشيخ موفق الدين لنفسه C تعالى ورضى عنه قوله ... أبعد بياض الشعر أعمر مسكنا ... سوى القبر إنني إن فعلت لأحمق ... يخبرني شيبتي بأني ميت ... وشيكا فينعاني إلي ويصدق ... يخرق عمري كل يوم وليلة ... فهل مستطاع وقع ما يتخرق